محاضرة 03

1. النظرية الخلدونية

1.1 مدخل إلى النظرية الخلدونية

يعتبر ابن خلدون الباحث الاجتماعي الأوفر حظًا بين أبناء جلدته من العرب والمسلمين ومن العلماء والباحثين الغربيين، فقد أجمعت مجمل الدراسات في الشرق والغرب على ألمعيته وريادته في المجالات المعرفية التي لم يقتحمها أحد من الفلاسفة والمؤرخين قبله، فقد فسرت نظرية ابن خلدون علم الاجتماع "العمران" بشكل مبسط، فشرح من خلالها واقع الاجتماع السياسي من منظور التجارب التاريخية.

فهو يعتبر الانسان كائن اجتماعي لا يستطيع العيش إلا في مجتمعات وليس مهيأً للعيش وحده، فالإنسان مخلوق يملك مصيره ويتحمل مسؤوليته الفردية داخل مجتمعه الإنساني، بحيث يصبح تحقيقها مسؤولية جماعية في العمران الاجتماعي، وقد أصلت نظرية ابن خلدون إشكاليات علم الاجتماع إلى ثلاثة أقسام وهي:

- ✓ **حاجة الإنسان للاجتماع والعمران:** إن الإنسان مخلوق اجتماعي مدني بطبيعته، وإن قوّته وأمانه لا يتحقق بقدرات شخصية فهو بحاجة إلى تكاتف جماعي مع بني جلدته ليحافظ على ديمومته وبقائه وقوّته، فالاجتماع والعمران حاجة بشرية ، ولكنها بحاجة إلى ما يشد هذا النسيج الاجتماعي، وبحسب ابن خلدون هو "المُلْك".
- ✓ **حاجة الإنسان إلى دولة لانتظامه وعمرانه:** تعتبر الدولة الحاضن الوحيد لاستقرار العمران ويدور في محورها الاجتماع البشري، فتحدث بشكل مفصل ومطول عن نشأتها وازدهارها وهرمها ووهنها ثم انقراضها، فالدولة بحسب نظرية ابن خلدون مقومة العمران وهي الحافظ لوجوده، ولكنه اعتبر أيضًا أن الدولة امتداد زماني ومكاني لعصبية ما.
- ✓ **فاعلية العمران ودور العصبية في ضبطه:** لم يختلف الباحثون في أن نظرية ابن خلدون أساسها العصبية، وأن نظرته تمحورت حول بلاد المسلمين وكانت مصدر تفسيره للقوة التي حركت العمران والدولة، فتحدث عن اللحمة والنسب وعن العصبية وغاية العصبية، وعن علامات المُلْك

وطبائع المُلْك، وغير ذلك من مقومات العصبية وأطوار الدولة والترف والانقياد والفساد وخراب العمران.

2.1 الاسس النظرية لابن خلدون :

أكد ابن خلدون في نظريته على الاسس النظرية التالية:

- النظرية الاجتماعية:

تتحدث نظرية ابن خلدون الاجتماعيّة عن الاحتياجات الإنسانيّة المستمدة من طبيعة الإنسان؛ حيث يحتاج الإنسان إلى الطّعام والشّراب، والملابس، والمأوى، ويمكن تسمية هذه الاحتياجات بالأساسيّة أو الأوليّة، وتؤدي الرغبة في تلبية هذه الاحتياجات إلى دفع الشّخص لاستخدام معرفته وتفكيره بشكل أوسع، مؤدّيةً بدورها إلى نشوء احتياجات ثانويّة، ثم تأتي مرحلة عملية التحضّر، التي يبحث فيها الإنسان عن الكماليات، لذا يجب عليه أن يكون أكثر ذك اءً، ونتيجة لذلك تطوّرت الحضارات، كما تجدر الإشارة إلى أنّ ابن خلدون لم يعني أبداً أنّ الحضارة تقوم على الاحتياجات المادّيّة فقط، كما تحدّث ابن خلدون عن طبيعة الإنتاج وضرورة التّعاون بين أفراد المجتمع؛ لتلبية احتياجات الإنتاج، وبيّن أنّ الإنسان يتكون من جزأين هما: الجزء الجسديّ، والجزء الرّوحي المندمج مع الجزء الجسديّ، ولكل منهما تصوّراته الخاصّة،

- النظرية الاقتصادي:

تناول ابن خلدون في نظريته الاقتصاديّة تحليلاً منهجياً لآلية عمل الاقتصاد، وأهميّة التكنولوجيا، والاختصاصية، والتجارة الخارجية في الفائض الاقتصادي، ودور الحكومة وسياساتها المستقرة في تحقيق زيادة الإنتاج والتوظيف، كما بيّن ابن خلدون مشكلة الضرائب المثلى، والخدمات الحكومية الدنيا، والإطار المؤسّسي للاقتصاد، والحوافز، والقانون، والنظام، والتوقّعات، والإنتاج، ونظرية القيمة، وأصبح ابن خلدون أول اقتصاديّ يقدّم تفسيراً بيولوجياً لتقدّم وتخلّف الأمم.

- النظرية العصبية:

قدّم ابن خلدون نظرية "العصبية"، والتي اعتبرها أحد العناصر الحاسمة التي تؤثر على تقدّم، أو تخلف مجموعة من الأشخاص، أو المجتمعات، وتُبنى "العصبية" على رابطة الدم، أو على وجود أو تقاسم الأفراد لمجموعة من المصالح المشتركة، والتي تزّودهم بالقوة للبقاء معاً، والوقوف ضد مجموعات أخرى تُهدد بإضعاف هذه الرابطة، كما أبدى ابن خلدون رأيه في كيفية تخليص بعض العناصر

الإضافية، مثل الروح الدينية، أعضاء المجموعة من الغيرة، وجعلها أقوى، وبمجرد وصول المجموعة لأفضل حالاتها، وتمكّن أفرادها من العيش براحة ورفاهية، فإنّ شعور "العصبية" يبدأ بالضعف والتراجع لديهم، ممّا يسبّب تخلّف المجموعة، وعلى الرغم من عدم مرور جميع المجتمعات بنفس هذا التسلسل، إلّا أنّ الرفاهية الزائدة تجلب التخلف للمجموعة، لتُستبدل بمجموعة أخرى تمتلك عصبيّة أكبر.

2. السوسيوانثروبولوجيا وبناء الموضوع المحلي :

مدخل الى السوسيوانثروبولوجيا :

- الانثروبولوجيا: إن مصطلح الانثروبولوجيا هو اصطلاح شامل وواسع حيث أنه يشمل دراسة التطور البيولوجي والحضاري للإنسان، العلاقات البيولوجية والمبادئ التي تحكم علاقات الشعوب بعضها ببعض، تتكون الانثروبولوجيا من كلمتين لاتينيتين هماَ انثروبوس وتعني الإنسان ، لوقوس وتعني العلم أي أن الانثروبولوجيا تعني علم الإنسان، وهي كعلم تنقسم إلى قسمين:

الانثروبولوجيا الفيزيقية أو البيولوجية.

الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية.

تهتم الانثروبولوجيا الفيزيقية بدراسة تطور الانسان وسلوكه وكذلك الخصائص البيولوجية التي يتباين فيها البشر القدامى والمحدثين، أما الانثروبولوجيا الاجتماعية فتنقسم إلى ثلاثة اقسام هي:

علم اللغويات ،علم الآثار Archéologie ، والأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية: التي تهتم بدراسة المجتمعات والثقافات الكثيرة المتنوعة التي تسير عليها المجتمعات، وقد اختصت وعرف عليها أنها تهتم بدراسة المجتمعات البدائية.

ومنه فالانثروبولوجيا عامة تجتمع في علم واحد وتحت اسم واحد بين نظرتي كل من العلوم البيولوجية والعلوم الاجتماعية، فتركز مشكلاتها من ناحية على الإنسان ككائن بيولوجي وعلى سلوك الإنسان ككائن اجتماعي.

- السوسيوانثروبولوجيا:

أول من استعمل كلمة السوسيوانثروبولوجيا أو الانثروبولوجيا الاجتماعية هو "فريزر" سنة 1908 في محاضرة تحت عنوان : مجال الانثروبولوجيا الاجتماعية، وعرفها بأنها "محاولة الكشف عن تسمية

القوانين العامة التي تحكم الظواهر وتفسر ماضي مجتمعات الإنسان حتى نتمكن بفضلها من أن نتنبأ بمستقبل البشرية استنادا إلى تلك القوانين السوسيولوجية العامة التي تنظم تاريخ الإنسان" أما رادكليف براون فيقول " يمكننا أن نعرف الانثروبولوجيا الاجتماعية بأنها دراسة طبيعة المجتمع الإنساني دراسة منهجية منظمة تعتمد على مقارنة الأشكال المختلفة للمجتمعات الإنسانية بالتركيز على الأشكال الأولية للمجتمع البدائي".

مما سبق فالسوسيوانثروبولوجيا تعد علم أعمق من الأنثروبولوجيا تتميز بالدراسة الميدانية للإنسان في المجتمع. فهي تساهم بذلك في بناء الموضوع السوسيولوجي أو بالأحرى الظاهرة السوسيولوجية ، عن طريق المعايشة والتي تميز هذا العلم عن باقي العلوم فيستطيع بذلك الدارس في هذا المجال التعرف بعمق على الثقافة والسلوك والعادات والتقاليد في ذلك المجتمع.

وما يميز هذا العلم اليوم هو انتقاله نحو دراسة المجتمعات الحديثة (العصرية) المحلية خاصة وهذا كي تبين الاختلاف بين القديم والحديث وتحاول تبرير التحديث الذي اصبح مسعى وهدف كل الشعوب.

أما بالنسبة للمجتمع العربي، أكدت العديد من الابحاث على وجود دراسات ميدانية سوسيوانثروبولوجية اهتمت بدراسة المجتمعات المحلية مثل الفراعنة في مصر والامازيغ في شمال افريقيا والتي ساهمت في بناء العديد من المواضيع السوسيولوجية وتحليلها والتعمق فيها ومحاولة تفسيرها والتي تساهم في نفس الوقت في استشراف المستقبل من الناحية الثقافية والسلوكية خاصة للأفراد.

المراجع:

1. عبد الرزاق المكي (1970). **الفكر الفلسفي عند ابن خلدون**. القاهرة: دار الفكر العربي .
2. محمد عبد الجابري (1971).**العصبية والدولة.** الدار البيضاء: الريشة .
3. www.mawdoo3.com
4. محمد عباس ابراهيم (2000) **الانثروبولوجيا مناهج وتطبيقات**. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.